

[ ٩٩ - عن مطرف بن عبدالله قال: صليت أنا وعمران بن حصين خلف علي بن أبي طالب ﷺ ، فكان إذا سجد كبر، وإذا رفع رأسه كبر، وإذا نهض من الركعتين كبر. فلما قضى الصلاة: أخذ بيدي عمران بن الحصين، فقال: ذكرني هذا صلاة محمد ﷺ - أو قال : صلى بنا صلاة محمد ﷺ - ] .

هذا الحديث وهذه القصة يرويها أبو عبد الله مطرف بن عبد الله الشخير، كان من أجلاء التابعين وعبادهم وزهادهم وفضلائهم المشهورين، وأبوه عبد الله الشخير له صحبة، كان مطرف -رحمه الله- من أجلاء التابعين وكانت له دعوة مستجابة، كان يقال إنه كان مستجاب الدعوة حتى إنه خاصمه رجل فظلمه فلما ظلمه قال : اللهم إن كان كاذباً فأمتّه. فسقط من ساعته ميتاً، ف قيل له : دعوت عليه! قال : دعوة وافقت أجلاً، وهذا من ورعه رحمه الله برحمته الواسعة، وكانوا إذا أكرمهم الله بشيء لم يفتخروا ولم يتباهوا، فقال: دعوة وافقت أجلاً ولم يقل إني دعوت عليه أو فعلت به من باب التفاخر والتباهي، وقد كان التابعون -رحمهم الله- أشبه الناس بأصحاب رسول الله ﷺ-. توفي رحمه الله سنة تسع وخمسين من الهجرة، ويقول : [ صليت أنا وعمران بن الحصين ] وقد تقدم ترجمة هذا الصحابي الجليل في باب التيمم. وقوله : [ خلف علي بن أبي طالب ] خلف أمير المؤمنين ورابع الخلفاء الراشدين الأئمة المهديين أحد الصحابة الذين توفوا ورسول الله ﷺ - عنهم راضٍ، علي -رضي الله عنه وأرضاه- وقد تقدم ترجمته معنا في باب المذي، كان علي -رضي الله عنه- من أحرص الصحابة على سنة النبي ﷺ- كان عالماً فقيهاً ولذلك قال عمر -رضي الله عنه وأرضاه- حينما سماه في أهل الشورى الذين عهد بالأمر إليهم وقال : إن رسول الله ﷺ- توفي وهو عنهم راضٍ قال : (( لئن وليتموها علياً ليحملنكم على السنة )) كان ﷺ محباً لسنة النبي ﷺ-، ومن أشبه الناس بهديه وسمته ودلّه صلوات الله وسلامه عليه إلى يوم الدين، كيف وقد تربى على يدي النبي ﷺ- وأحبه صدق المحبة وفداه بنفسه وبات في فراشه رضي الله عنه وأرضاه، هذا الصحابي صلى إماماً بمطرف وكذلك بعمران وهذا يحتمل أمرين :

إما أن يكون مطرفاً وعمراناً قد صليا وراء علي -رضي الله عنه وأرضاه- ويكون ثلاثتهم قد انعقدت بهم الجماعة، فيكون في الحديث دليلاً على أن صلاة الاثنين تكون خلف الإمام.

خلافاً للحنفية الذين يقولون : إن الاثنين يقف أحدهم عن يمين الإمام والثاني عن يساره، وقد ذكرنا هذه المسألة في حديث أنس بن مالك -رضي الله عنه وأرضاه- في قصة أم حرام بنت ملحان -رضي الله عنها

وأرضاهما- حينما زارها رسول الله ﷺ - بقباء، وبينما أن السنة في الاثني عشر إذا وقفا مع الإمام: أن يقفا خلف الإمام، وقد قال مطرف: **[ صليت أنا وعمران خلف علي ]** فدل على أن موقف الاثني عشر خلف الإمام على أن ثلاثتهم قد صلوا، أما لو كان مرادهم أنهم صلوا معهم جماعة في المسجد فلا إشكال، فحينئذ يكون ليس في الحديث دليل على المسألة التي ذكرناها .

وقوله ﷺ: **[ فكان إذا سجد كبر، وإذا رفع كبر، وإذا نهض من الركعتين كبر ]** هذا كله يؤكد ما تقدم من تكبيرات الانتقال، وهي التي ذكرناها من التكبيرات الواجبة التي ينتقل فيها من الركن إلى الركن ومن الواجب إلى الركن ومن الركن إلى الواجب.

ولكن في الحديث في قوله: **[ فلما سلم: أخذ بيدي عمران ]** في هذا دليل على تواضع الصحابة -رضي الله عنهم وأرضاهم- كان فيهم الإلف وكان فيهم التواضع وكانوا يغزون قلوب التابعين بالحببة لأنهم ورثوا ذلك من رسول الأمة ﷺ- فكانوا بأخلاقهم وآدابهم وشمائلهم على الفضل والكمال.

**[ أخذ بيدي ]** فهو أكبر من مطرف فهو أكبر منه في السن وأكبر منه في الجلالة والقدر فهو صحابي جليل عمران بن الحصين مع هذا أخذ بيده، فإذا أخذ الأفضل بيد من هو دونه دل هذا على فضل الأفضل، وأنه على كمال وجمال لأن النبي ﷺ- كان يفعل ذلك، وقال العلماء: من السنة أنك إذا ماشيت أحاك أن تأخذ بيده وكان يفعل هذا رسول الله ﷺ-، وكان يفعله الصحابة؛ لأن الأخذ باليد يشعر بالحببة ويشعر بالتواد ويشعر بالصلة، ولذلك إذا ماس الإنسان غيره وأخذ بيده دل على وجود الألفة والحببة ولذلك فعل هذا الصحابي بمطرف بن عبد الله -رحمه الله- ورضي الله عن عمران فأخذ بيده، **[ فقال: لقد ذكرني هذا صلاة محمد ﷺ ]**.

**[ لقد ذكرني هذا صلاة محمد ]** في هذا دليل على ما كان عليه أصحاب النبي ﷺ- من سلامة الصدور والشهادة بالفضل لصاحب الفضل، كان الصحابة - رضوان الله عليهم- لا يتحاسدون ولا يتباغضون؛ لأن الله - سبحانه- اصطفاهم لنبيه ﷺ، ومن السنن التي جعلها الله ﷻ- وفطر عليها عباده أن الناس في الغالب إذا اجتمعوا في شيء معين أن يتحاسدوا، حتى إنك قلّ أن تجد أرباب الصنعة الواحدة إلا وجدت بينهم التنافر والتحاسد، وأصحاب رسول الله ﷺ- اجتمعوا في صحبة النبي ﷺ- فلم يزداهم ذلك إلا حباً ووداً وتعاطفاً وتكاتفاً وتآلفاً فكانوا على أكمل ما يكون المسلم مع أخيه المسلم، فهذا الصحابي -رضي الله عنه وأرضاه- شهد لعلي أنه أصاب السنة في صلاته وهذا يزيد من حب التابعين للصحابة فإذا كان الصحابي يشهد لأخيه الصحابي أنه حريص على السنة وثقت به الناس وأحبته ورضيت به وأجلته وقدرته، ولكن إذا

طعن هذا في هذا ولو كان الكل عالماً ولو كانوا من طلاب العلم فطعن هذا في هذا انتزعت الثقة من قلوب الناس وانتزع من صدور الناس حب طلاب العلم وأهل العلم.

ولذلك ذكر العلماء -رحمهم الله- أن أهل العلم وطلاب العلم يجب أن يشعروا برحم العلم بينهم وأن يكون بينهم من الحب والود وتقدير بعضهم لبعض ما كان بين أصحاب النبي ﷺ - فإن الله فَضَّل العلماء بالسنة وفضل طلاب العلم بالسنة وهم أعلم الناس بالسنة وأحرصهم على هدي رسول الله ﷺ -، وهذه السنة لا تزيد صاحبها إلا خيراً ولا تزيد إلا طاعة وبراً فينبغي عليه إذا رأى الخير من أخيه ورأى العلم عند أخيه ورأى الصواب من أخيه أن يشيد بهذا الصواب لأن حبه لسنة رسول الله ﷺ - يجعله يغار عليها ويحرص على الإشادة بفضلها وفضل من تمسك بها ودعا إليها، وما زال المسلمون في خير كثير حينما كان العلماء يثني بعضهم على بعض ويشيد بعضهم ببعض.

كان الصحابة -رضوان الله عليهم- إذا جاء السائل يسأل دل بعضهم على بعض، وما زال بعضهم يقول : فلان أعلم بسنة رسول الله ﷺ - مني، قالت أم المؤمنين عائشة : سل أبا عبد الرحمن -تعني: عبد الله بن عمر- فقد كان أعلم بسفر رسول الله ﷺ - مني، وكانوا إذا اختصموا في شؤونه في بيته رجعوا إلى أمهات المؤمنين ويرجع عمر بن الخطاب -رضي الله عنه وأرضاه- الصحابي الجليل والخليفة الراشد إلى أمهات المؤمنين ويحثوا على ركبته على باب أم المؤمنين أو بين يديها يسألها عن هدي رسول الله ﷺ - لعلمه أنها أعلم بسنته وأعلم بهديه في ذلك، وقد كان يكفيه أن يسأل آحاد الناس أن يذهبوا فيسألوها، ولكن لكي يشعر الناس أن عندها سنة وأن عندها هدي رسول الله ﷺ -، ولا يزال طلاب العلم ولا يزال العلماء بخير متى ما شهدوا بالفضل لأهله وزكى بعضهم بعضاً بما عرفوا من الخير فيهم، فإذا حصل ذلك بينهم أمنت الناس وأحبتهم وألفتهم وحفظت حقوقهم، ولكن إذا كان الإنسان حريصاً على أن يكون هو المبرز فيطعن في أخيه ويدعي أن علم السنة عنده وحده وأنه هو الأعلم بسنة رسول الله ﷺ - وأنه هو الأعلم بهديه فإنها زلة القدم فإن من اعتقد الكمال في نفسه فإنه ناقص ومن اعتقد النقص في نفسه يُزِينه ويوفقه لكي يكمل نقصه ويجبر له سبحانه كسره، نسأل الله العظيم أن يجعلنا وإياكم ذلك الرجل .

يقول : **[ لقد ذكرني هذا صلاة رسول الله ﷺ ]** إذا كان هذا في الزمان الأول يقول : "لقد ذكرني هذا" هذا يدل على ما كانت عليه السنة من الدقة بحيث لا يضبطها إلا القليل ولا يلم بها إلا القليل، فنسأل الله العظيم بأسمائه الحسنی وصفاته العلی أن يرزقنا حب السنة وأن يمتتنا عليها وأن يحشرنا في أهلها .